مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 23– 40

دور الهجرة الهلالية في تعريب المجتمع والدولة في المغرب الوسيط

The role of the hilali migration in the arabization of society and the state in central maghreb

[1] د/ شرقي نوارة Chargui Nouara
[1]جامعة ابن خلدون (تيارت)

[2] د/ قاضي فتيحة kadi fatiha
[2]جامعة علي لونيسي (البليدة 2)

المؤلف المرسل: د/ شرقي نوارة. الإيميل: nouarahis04@gmail.com

تاريخ الاستلام: 24 /2025/02 تاريخ القبول: 12 /2025/05 تاريخ النشر: 04/06/ 2025

الملخص: شكَّل المغرب الإسلامي أحد الأقطار المستقطبة للهجرات البشرية عبر العصور، ولعلَّ من أكبر الهجرات التي شهدتها المنطقة – الهجرة الهلالية– خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي والتي استطاعت التأثير على المنطقة بالسلب والإيجاب، وغيرت نسبيا من ملامح خارطتها الحضارية؛ ففي الوقت الذي تحامل فيه الباحثون على الهجرات الهلالية ورأوا أنَّها سبب الخراب والدمار الذي آلت إليه المنطقة آنذاك يمكننا رؤية جانب من حسناتها في تعريب المجتمع والدولة اللذان كانا لا يزالا بحاجة إلى ترسيخ اللغة وتثبيتها خاصة بعد الأحداث التي شهدها المغرب بعد الفتوحات الإسلامية، وفي العدات والتقاليد من خلال أدوار فاعلة المجتمع في مأكله ومشربه ومسكنه وفي السلطة في المغرب الوسيط.

الكلمات المفتاحية: العرب الهلالية – التعريب–المغرب الإسلامي– الدولة– المجتمع.

Abstract The Islamic Maghreb has long been a destination for human migrations throughout history. Among these, the largest and most impactful was the Hilali migration, which took place during the fifth century AH/eleventh century AD. This migration left a profound mark on the region, both negatively and positively, altering the structure of its

civilizational landscape. While many researchers have often criticized the Hilali migrations, viewing them as a source of destruction and turmoil for the region during that era, it is important to recognize a significant outcome of their presence—the Arabization of both society and state. At the time, this Arabization played a crucial role in establishing and strengthening the Arabic language, especially after the developments that followed the Islamic conquests of the Maghreb. This raises key questions: What were the specific influences of the Hilali Arabs on the Islamic Maghreb? Did their migration have impactful roles in shaping society and governance in the medieval Maghreb.

Keywords: the Hilali Arabs – Arabization – the Islamic Maghreb – the state – society

1. مقدمة:

عرف المغرب الإسلامي منذ القرن 5هـ/11م؛ تحولات كبيرة نتيجة للهجرة الهلالية التي كانت حدثا لا ينكر في تلك الفترة، حيث وفدت هذه القبائل من شبه الجزيرة العربية واستقرت في البداية بصعيد مصر،ثم انتقلت واستوطنت المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، لتصير عاملاً أساسياً في التأثيرات المجتمعية، منها ماكان ظاهرا للعيان كتعزيز اللغة العربية ونشر الثقافة البدوية، كما كان لهذه القبائل دور محوري في تعريب المجتمع والدولة، مما أدى إلى تغيير جذري في البيئة اللغوية والثقافية للمنطقة.

كان لاستقرار الهلاليين الدور الأبرز في نشر اللغة العربية، خاصة في التعليم والعبادات والتواصل اليومي، مما عزز الهوية الإسلامية بين السكان المحليين، إلا أن عملية التعريب لم تكن خالية من العقبات، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تكون الفروق الثقافية بين القبائل العربية والسكان قد أوجدت صعوبات اجتماعية وإدارية، حيث تطلب الأمر وقتاً وجهدا كبيرين لتحقيق ذلك الانسجام المطلوب وانعكست هذه العملية على المجتمع من خلال خلق مجتمع أكثر تنوعًا ثقافيًا ولكن أيضًا أكثر وحدة حول اللغة والدين .ومن هذا

المنطلق كيف يمكن فهم التحدّيات التي واجهت عملية التعريب وكيف انعكست على المجتمع والإدارة في تلك الفترة ؟

1. أصل القبائل الهلالية وأسباب انتقالهم إلى بلاد المغرب:

يُطلق عادة اسم الهلاليين على العرب الذين هاجروا إلى إفريقية خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وهم طائفة من القبائل المتحالفة أو التي أجبرت على التحالف لسبب من الأسباب، وقد عرفوا باسم الهلاليين: "لأن الرياسة كانت عند دخولهم للأثبح وهلال فأُدخلوا فيهم وصاروا مندرجين في جملتهم من باب إطلاق الخاص على العام[1] أمَّا البلاد الأصلية لهذه الفئة فيعود لغرب واحة تربة [2]، ويصل نحو الشرق ماراب "رينه" إلى الأراضي المرتفعة جنوب طريق الرياض–مكة.[3]

أمَّا القبائل العامة التي دخلت إلى افريقية فهم على ثلاثة أسماء: "بنو هلال ،بنو سليم، بنو معقل[4]، وأما بنو هلال وبنو سليم فهما قبائل تنتمي إلى الفرع العدناني الشمالي (ما يسمى بعرب الشمال)، فقد ميّزهم ابن خلدون ضمن القبائل الموسومة بالعرب التابعة وهي الطبقة الثالثة من العرب المستعربة، وقد أسهب النسابة والمؤرخون العرب في هذه التفصيلة وتحدثوا عن كل قبيلة من هذه القبائل.[5]

أما نسب بني هلال الذين اتجهوا إلى الغرب فيظهر أنَّهم ينسبون إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان. [6]

ومما عُرف عن بني هلال أنهم كانوا يسكنون نجد [7] والحجاز وحول مكة المكرمة، وفي بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان [8] وأقاموا بالشام، وبقايا بني هلال بن عامر في جزيرة العرب يقيمون اليوم في تهامة على ساحل البحر الأحمر إلى الغرب من آبها في المملكة العربية السعودية [9] وكل هذه التنقلات كانت طبيعية بالنسبة لحياة القبائل الرحل العربية، بالنظر لظروف عصرهم وكانت لهم تحركاتهم بدافع البحث عن

الكلأ الذي تحتاجه مواشيهم "[10] وعنهم يقول ابن خلدون : " ربما كانوا يطوفون رحلتي الشتاء والصيف أطراف العراق والشام". [11]

– أسباب انتقال القبائل الهلالية لبلاد المغرب:

أ– أسباب سياسية:

إن تهميش القبائل العربية وإقصائها من قبل السلط السياسية دفعها إلى تراجع عن دورها الاجتماعي والسياسي، مما اضطرها للتوجه نحو أطراف البلاد العربية ونزحت القبائل إلى الصحراء وتفرقت في الأقاليم البعيدة بحثاً عن الرزق وابتعاداً عن النزاعات على السلطة مع من استحوذوا عليها .ومع ذلك، لم يختفِ النزاع بطبيعته، بل تغيرت وجهته، حيث انخرطت القبائل في صراعات داخلية على النفوذ الشخصي. وقد اعتمدت في ذلك أساليب السلب والنهب والعنف والقمع، في محاولة لاستعادة بعض مما فقدته من سلطتها القبلية نتيجة قيام الدولة وتغير الأنظمة، وإذا كانت بعض هذه القبائل المهمشة قد لجأت إلى بادية الشام والعراق والحجاز ، فإن جزءا معتبرا منها تنقلت إلى مصر وبرقة، لتجد مستقرا لها ومتنفسا يمَكنها من العيش والنفوذ وفرض الذات بالقوة، وأصبحت أرضاً خصبة للتجول والإغارة والسلب والنهب.."[12] وقد أضرت سيطرة الدولة على الطموح بالسيطرة الذي كان يملأ نفوسهم على المناطق المنتجة من البلاد العربية والشام على عهد الأمويين ، والعراق على عهد العباسيين، ثم ما دخل تحت هاتين الدولتين من بلاد غنية ومنتجة، فلم يبق إلا البعد إلى جهات يصعب تحكم الدولة وإقرار الأمن والسلطة فيها.

ضف إلى ذلك، يتجلى موقف الفاطميين من بني هلال خلال تلك الحقبة التي كانوا فيها يوالون القرامطة. حينها أدرك الفاطميون أن الحل الأامثل للتعامل معهم هو التخلص منهم، فمكنوهم من الدخول إلى صعيد مصر ومنحوهم أراضي قريبة من الحدود المصرية .انطلقوا من هناك نحو شرق النيل ثم عبروا إلى غربه حتى وصل بعضهم إلى منطقة برقة. [13]

ومن أمارات تأثير العامل السياسي رحيل الفاطميين من بلاد المغرب وتركها إلى بني زيري، إذ كان من خُلق الهلاليين وبني سليم التمرد والسلب والنهب،فكان والحالة هاته من الأوفق سياسيا أن يرمي بهم الفاطميون من مملكتهم إلى مملكة خصومهم من بني زيري، بعد أن أعلن المعز بن باديس القطيعة للخليفة

الفاطمي المستنصر بالله سنة443هـ/1050م [14]، والدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وإن تباينت المصادر الإخبارية في توقيت القطيعة حيث يخبر ابن خلدون أنها كانت (440هـ/1048م)، حين أحرق المعز اسم الخليفة ونزع اسمه من الطرز والسكة [15] إلا أنَّ المستنصر بالله كتب إلى المعز بن باديس يرغبه ويرهبه، ويقول في أحد رسائله:" هلا اقتفيت آثار من سلف من أباءك في الطاعة والولاء". فلم يذعن المعز بن باديس لوعيد الخليفة المستنصر بالله، ولم يرهبه تهديد المستنصر بإرسال الجيوش لتأديبه .فكتب المعز إليه: " **إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك**".[16]

ولم يجد المستنصر غير الانتقام من المعز من وزيره اليازوري [17] بإرسال القبائل العربية من مواطنها بالصعيد صوب الغرب ، فلما كمُل له ذلك أكرم عامتهم بجمل ودينار لكل رجل قيمه[18]. وقال الخليفة في رسالة للمعز بن باديس:" أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولًا .[19]

وهكذا نجح السلطان المستنصر في تقويض نفوذ المعز بن باديس من خلال استخدام هذه القبائل، حيث توافق معهم على العودة أفراداً وجماعات إلى إفريقية .وعند وصولهم، حاول المعز بن باديس استمالتهم لينضموا إلى حاشيته ويصبحوا جزءاً من جيشه .مع ذلك، أوضح قائدهم مؤنس بن يحي أن هذه القبائل لم تأتِ لتكون جزءاً من جيش المعز، بل جاءت لتفرض هيمنتها وتتمتع بالسلطة. نتيجة لذلك، اضطر المعز لإمضاء هدنة معهم ولجأ للتقرب منهم بالمصاهرة، حيث زوّج ثلاثاً من بناته لشيوخهم .ومن ذلك يظهر بوضوح أن هدفهم لم يكن خدمة الآخرين، وهو ما أكده السلطان المستنصر في: "قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق ، فلا تفتقرون"، وتواصلت القبائل الكثيرة الوافدة إلى المغرب مثل سليم وهلال ورياح والأثبج ، فلما دخلوا بأرض برقة وما ولاها وجدوا بلاد كثيرة المرعى ، خالية من الأهل لأن زناتة أهلها فأبادهم المعز.[20]

ب- أسباب اقتصادية:

يفيدنا ابن الأثير (ت630هـ / 1232م) أنَّ الغلاء والوباء عمّ في البلاد جميعها بمكة والعراق ومصر والموصل والجزيرة والشام وغيرها من البلاد.[21] وفي هذا الوقت استمر تراجع الدولة الفاطمية مع تواصل المجاعات القاسية والنزاعات بين المرتزقة الأتراك والمغاربة والسود.[22]

بلاد المغرب بما تتوفره من غنى ووفرة في الإنتاج واعتدال في المناخ جعلها وجهة مثالية لطموحات أفراد أنهكهم الفقر والحاجة، خصوصًا بعد أزمة الحنطة عام 415هـ/ 1023م، وتراجع مستوى مياه نهر النيل إلى حد الاضمحلال عام 442هـ/1050م .تلك العوامل وغيرها ساهمت في دخول المنطقة في أسوأ أزمة اقتصادية، حيث شهدت ارتفاعًا حادًا في الأسعار وانتشار الغلاء، تلاه تفشي الأوبئة .خلت الأراضي من الزرع وتناقصت الثروة الحيوانية، وعمَّ الجوع نتيجة لانعدام الموارد الغذائية..[23]

ومما يبين أهمية الجانب الاقتصادي في الهجرة الهلالية قول نادر على لسان الوزير الفاطمي لم تستغله الدراسات في تحليل عوامل الهجرة كما جاء عند ابن خلدون : "قد أعطيتكم المغرب ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون"[24] تبين بالضرورة تدهور الوضع الاقتصادي للهلاليين في صعيد مصر.

وإذا سلَّمنا عرضا بالوضع الاقتصادي كونه جانبا أساسيا في الهجرة الهلالية ، تتبرر الوسائل والأساليب التي انتهجها هؤلاء للسيطرة على بلاد المغرب من جهة، ومن جهة أخرى تلغى عنهم صفة الهمجية ، وتنطبق على تصرفاتهم القول الشهير: "الغاية تبرر الوسيلة[25] إذ يذكر المقريزي في سنة (426هـ/ 1035م)، كثر الفأر بأراضي مصر وأكل زروعا كثيرة وكثر الوباء، وفي سنة (445هـ/1053م) قصر مد النيل ونزع السعر ووقع الوباء.

وفي سنة (429هـ/ 1030م) تجاوز انحدار النيل خمسة اذرع ، وهو ما لم تصله المياه منذ أمد بعيد، مما انعكس سلبا على وزن الدينار الذهبي الذي بلغ أدنى مستوى له سنة (429هـ/ 1030م[26] ولا لاشك أن العوز كان الدافع الرئيس الذي دفع بهذه القبائل إلى الهجرة نحو بلاد المغرب قبل سنوات الأربعين من القرن الخامس الهجري، ويبدو أن وتيرة هجرتهم كان متسارعة وحجمها معتبرا إلى حد أن الموجات الأولى قد

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 23– 40

وصلت ناحية طرابلس، وقد حاولت الاستفادة من هذه الهجرة وتأطيرها، حيث خضع انتشار القبائل إلى منهج مخطط، أعطت بموجبها البلاد اقطاعات للقبائل وفق حاجاتها.

2.أماكن استقرار العرب الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي :

انتقل عدد كبيرمن العرب الهلالية لبلاد المغرب الإسلامي على مرحلتين، أولاهما كانت هجرة بإغراء الفاطميين لهم[27] أما الثانية فكانت طوعية أقدم عليها بنو هلال وبنو سليم، ليشاركوا من سبقهم من أبناء عمومتهم الخيرات الكثيرة الموجودة ببلاد المغرب.

أ– **المغرب الأدنى** : كان إقليم برقة أول المحطّات التي استقرت بها القبائل الهلالية باعتبارها أول مكان ينزل به القادم من مصر، وأصبحت مدنها وقراها مليئة بهم[28] أي أنّ حواضر المغرب الأدنى كانت أكثر عرضة لممارساتهم ، ومنها هاجروا أو هُجِّروا إلى باقي الحواضر بالمغربين الأوسط والأقصى .

وعند دخولهم للمغرب الأدنى اقتسم الهلاليون البلاد بينهم فكانت لزغبة طرابلس وما يليها وبرقة وبعضا من طرابلس استقر بها بنو سليم ، وبدءا من سنة 446هـ/1056م اقتسمت بطون بني هلال إفريقية واشتركت في هذه القسمة رياح ، زغبة والمعقل وحشم وقرّة والخلط[29] ، وبعد معركة حيدران 443هـ/1051م زاد تدفق العرب الهلالية على المغرب الأدنى، أما في سنة 446هـ/105م وحاصر العرب القيروان وبعدها استولوا عليها وكذلك سكن بإفريقية كل من يزيد وعامر بن زغبة.

ب–**المغرب الأوسط** : عندما انفصل الزيريون عن الفاطميين بالقاهرة بادر الحماديون إلى إعلان ولائهم للعبيديين[30] ومع هذا لم يتوقف زحف الهلاليين عند حدود المغرب الأدنى ،وتشير الأسفار المتاحة أنهم دخلوا إلى المنطقة بعد تحالف بن علناس مع قبيلة الأثبج سنة 457هـ/1065م[31] ، وبعد موقعة البسيسة والتي انهزم فيها الحماديون أمام العرب، فتحت أرض المغرب الأوسط أمام أفواج العرب الهلالية فدخلوا إلى الزاب[32] وبسطوا نفوذهم على ما بين الأطلسين التلي

والصحراوي، حتّى وصلوا إلى جبال البابور[33] وقد ضمّ هذا الإقليم قبائل زغبة ببطونها: يزيد – حصين – مالك– عامر– عروة ، وسكن معهم عبيد الله والثعالبة من المعقل وبعض بطون الأثبج وكذا العمور وبني قرّة[34] كان استقرارهم بين المسيلة وقبلة تلمسان في الصحاري[35] ودخلوا قسنطينة ميلة ومرسى الخزر[36] ولم تبق إلا الأقاليم المعزولة في الجبال الوعرة بالمغرب الأوسط التي لم تدخل إليها العرب الهلالية.

ت–**المغرب الأقصى:** سكنت قبائل عربية أخرى بغمارة مما يلي ساحل طنجة إلى سلا[37] وتموقعت قبائل المعقل في الشريط الرابط بين شمال المغرب الأقصى إلى منطقة السوس الأقصى[38] وانتشارهم بالمغرب الأقصى لم يكن وفق رغبتهم بقدر ما كان حكما من دواليب السياسة متجها للإستراتيجية الأمنية للدولة الموحدية[39] وفي فترة الصراع بين الموحدين والمرينيين كان العرب الهلالية مع من يدفع لهم أكثر، ففرضوا سيطرتهم على المناطق السهلية التي غابت عنها السيطرة السياسية.[40]

3. تعريب المجتمع والدولة:

- **تعريب المجتمع :**

اللغة: يعدّ تعريب اللسان البربري من أهم نتائج الهجرات الهلالية على الإطلاق، فقد استحكمت الألسنة في أنحاء المغرب، وصارت للعربية السيادة والهيمنة في كلّ جزء، وهو ما منح للمنطقة شخصيتها العربية البيّنة، بمعنى أنّ دخول العرب الهلالية لم يكن شرّا محضا بل تمخض منه خير كثير[41]، إذ بهم أصبحت بلاد المغرب من أكبر البلاد الناطقة بالعروبة وأعمقها إسلاما[42] وهذا كلّه نتيجة بقائهم بالمنطقة وامتزاجهم بساكنة البلاد ، وتزاوج العرب بالبربر، ووصلت القبائل العربية إلى حدود المحيط الأطلسي، واختلطت بالقبائل البربرية، ونتج عن ذلك أن بعض القبائل تعرّبت بالكلية منها قبيلة دكالة[43] وأماكن ببلاد المغرب كان أهلها من أفصح الناس، وهذا ما اكدّه العبدري عن أهل برقة: "...وعرب برقة من أفصح عرب رأيناه ... وهم حتة وقتنا على عربيتهم ، لم يفسد من كلامهم إلا القليل".[44]

ولم يتوقف التعريب على المغرب الإسلامي فحسب بل تعدّاه إلى رقعة السودان الغربي بفضل قبائل المعقل التي استقرت بصحاري المغرب الأقصى وتوات وتمنطيط ووارکلان.. ولا تزال اللغة العربية سائدة بالمنطقة.

وفي هذا المنحى يقر توفيق المدني حول فضل هذه القبائل "...وعلى كل فهجرة بني هلال وبني سليم هي التي طبعت البلاد الجزائرية بالطابع العربي أبديا، وتركزت فيها لغة الضاد على أساس متين.[45] وبالتالي أضحت العربية عنوانا لهويتنا القومية وجوهر ثقافة أهل المغرب.

- **العادات والتقاليد**: وفد الهلاليون بأسلوب حياة غير مألوف منها السكن في الخيام الذي لم يكن منتشرا بالمنطقة إلا بدخول الهلالية إليها، لأن عموم أهل المغرب كانوا يسكنون كهوف الجبال[46] إلى أن دخلت العرب في القرن 5هـ/11م إلى افريقية واستوطنوها بحللهم وخيامهم[47] التي يؤكد الوزان على جمالها.[48]

ولم يتوقف تأثير العرب في محل السكن بل تعدّاه إلى التأثير في الملبس، حيث لبس الهلاليون المخيط وربما ألقوا رداء على ظهورهم، والتفوا بإزار، وكانت العمائم لباس الرأس المألوف عندهم[49] بينما كان لباس البربري يتألف من سروال وقميص وجبة من الصوف يتحزم عليها بإزار ملون ويغطي الرأس بعمامته وتسمى أيضا لفافة ، يوضع عليها الدوخلة التي تنزل على القفا، وقد حافظ العرب على لباسهم وأثّروا في أهل البادية وأخذوا عنهم لبس البرنوس، أما المرأة الهلالية فقد أخذت عنها المرأة البربرية تزينها بأقراط من فضة على شكل حلقات، فضلا عن وضع النقاب غلى عيونهن والذي عرف ببلاد المغرب باسم المعجر ، كما ارتدت البربرية الخلاخل في رجليها.[50]

ولا ننسى في هذا المقام التأثير الواضح في الطعام، فقد أدخل الهلالية أنواعا غير معروفة من المأكولات إلى المنطقة وهي موجودة إلى يومنا هذا منها الثريد والعصيد والبسيس، إضافة إلى الحليب والتمر.[51] كما تأثر البربر بعادات أخرى منها تربية الخيول ورحلتهم وانتقالهم في الصيف والشتاء، والتي لم تكن

معروفة عند البربر[52] وكل هذه العادات انتشرت انتشارا واسعا ببلاد المغرب كلّها وهذا ما ساعد على تعريب المجتمع المغربي في العصور الوسطى .

ج. الثقافة: استطاع الطابع العربي أن يؤثر على الثقافة المغربية منذ دخول بني هلال للمغرب الإسلامي بواسطتهم تكونت ملامح جديدة للشخصية الثقافية المغربية فبعد أن كانت الثقافة العربية ثقافة تعليم فقط أصبحت بعد دخولهم ثقافة حياة ومعيشة[53]

ولعل من أوضح المظاهر الثقافية نجد الشعر الذي كان مرتبطا بالغناء والموسيقى، فقد أقتبس بربر افريقية من بني هلال طرق الإنشاد والغناء، كما سادت الأغاني في شكلها البسيط البدوي والذي تمخض عنه نشأة الشعر البدوي الملحون، إضافة لانتشار الرقصات المتعددة على غرار الزقارة باستخدام الطبول الكبيرة التي أحضروها معهم، كما أن بني هلال كانت تسمر بنوع من العزف الرمزي وذلك عند صيدهم للأسود، كما شاعت رياضة ركوب الخيل وكذا لعبة الشطرنج بأوساط السكان بربوع المغرب.[54]

2.4 تعريب الدولة:

قيام الإمارات المستقلة : كان لهجرة العرب للمغرب الإسلامي آثار على كل مناحي الحياة، وخاصة على المنحى السياسي وبدت هذه الآثار واضحة للعيان منذ ولوجهم ثم استمرت لبقائهم واستقرارهم بالبلاد، وبالتالي لم تتوقف نتائج الهجرة الهلالية عند حدّ أو زمن ، فقد أصبحوا جزءً لا يتجزأ من ساكنة المنطقة يؤثرون ويتأثرون بكل ما يصير فيه، فالمغرب الأدنى شكّل قبل دخول بني هلال وحدة سياسية حكمها الزيريون،بيد أنه بدخول العرب الهلالية لم تبق هذه الوحدة ، وأصبح المغرب الأدنى منشطرا بين إقطاعات ومناطق خاضعة لحكم القبائل العربية الداخلة، وبذلك تقلّص حكم الصنهاجيين والزيريين الحماديين على الساحل[55] واستقل حمو بن ومليل البرغواطي بسفاقس بعد مساندة العرب الهلالية له وبنو خراسان بتونس سنة 458هـ.[56]

ولعلّ أهم أثر سياسي ساهم في تعريب الدولة بالمغرب الإسلامي هو تمكن بني هلال من تشكيل بعض الإمارات الصغيرة ، منها إمارة بني جامع التي يرجع نسبها إلى رياح الهلالية وهو أولاد مكي بن دهمان من بني علي[57] بقابس وقد نجحوا في جعلها من أهم الحواضر ، وأضحت بمثابة دويلة محلية، تمكن من إدارتها

4 أمراء، واستمرت من ق5 هـ/11م؛ إلى النصف الأول من ق6هـ/12م، وأقامت علاقات مع الدول المجاورة.[58]

وأنشأ العرب أيضا إمارة بني مزني (678هـ/1279م)، والتي تقول المصادر أن منطقة الزاب لم تعرف عصرا كعصر هذه الإمارة، وأبرز حكامها الفضل بن علي وابنه المنصور[59] وكانت تسيطر على بسكرة وما إليها من الزاب[60] وهم من لطيف من الأثبج أي من بني حري بن علوان بن مُحَمَّد بن لقمان بن خليفة بن لطيف وصولا إلى مازن بن فزارة.[61]

كما تأسست على عهد الحفصيين ثلة من الإمارات العربية ببلاد الجريد ، ومنها بنو يملول بتوزر، وبني الخلف بنفطة وأبي المنيع بالحامة وبنو الورد اللخميون ببنزرتوإمارة بني جبارة بسوسة[62] ولم يتوقف نشاطهم السياسي ببلاد المغرب الأدنى بل تعدّاه إلى المغرب الإسلامي بكل أجزائه، وكان للعرب كلمتهم في تحديد معالم سياسة المغرب الإسلامي، فقد كانوا عنصرا فعّالا في قيام الدول المغاربية وسقوطها.

المصاهرات السياسية: نتج عن سكنى العرب الهلالية بالمغرب الإسلامي وامتزاجهم بساكنة البلاد تعريبجزءمعتبر منها، حتى أن بعض القبائل البربرية عربت بالكامل كقبيلة هوارة، والتي تشربت بقدر كبير من الدماء العربية، الأمر الذي عربها بصورة عملية[63] وما يؤكد عمق التعريب وجود قبائل وأعراش تحمل ألقاب الهلالي والسليمي إلى يومنا[64] وذلك نظرا للأعداد الضخمة التي دخلت للمنطقة وامتزجت بالمصاهرات حتّى أعطت جيلا جديدا[65] وكان الحكام والسلاطين السباقين لتلك المصاهرات وعلى رأسهم المعزّ بن بادبس الذي أراد اتقّاء شر العرب وكسب ودهم، فأنكح بناته الثلاثة من أمراء هلاليين[66] وبقيت سياسة المصاهرة بين الساسة باقية طوال الحقبة الوسيطة بالخصوص عهد المرينيين والزيانيين والحفصيين، رغم أن هذه المصاهرات لم تكن تؤدي أهدافها إلا للطرف الأقوى، والذي كان غالبا من شيوخ العرب الهلالية[67] الذين فرضوا سيطرتهم على دويلات المغرب الإسلامي في العديد من الفترات، والواقع أن تلك المصاهرات أفرزت رجالا ساهموا في إدارة الدولة وفق ما يريدون من خلال استخدامهم كحلفاء لتثبيت

الحكم واعتبارهم أصهارا[68] ومن تلك المصاهرات التي جسدت تعريب الدولة نذكر على سبيل المثال زواج الخليفةأبو العباس الفضل أبي بكر أبي يحي الحفصي من عرب بني حمزة سنة 751هـ، وزواج السلطان أبو العباس أحمد من عرب المحاميد بطرابلس سنة 772هـ/1389م، وهم من سليم العربية، وما يفسر تسلط العرب بأمور الدولة أيام ابن أبي العباس (أبي فارس عبد العزيز 796هـ/1393م لكونهم أخواله)، وهناك أمثلة أخرى كثيرة ، وما يؤكد تحكم العرب في أمور الدولة والحكم هو قول ابن الشمّاع " احتوت العرب وشاركته في الديوان وجباية الماشية والطعام...." [69] وبوصول العرب للحكم فهذا خير دليل على دخول التعريب إلى هياكل الدولة.

5 . خاتمة":

كان للقبائل الهلالية دور تاريخي مفصليا لا ينكر في تعريب المغرب الإسلامي على المستويين السياسي والاجتماعي، وتركوا تأثيرا عميقا امتدّ لقرون عديدة، ولا تزال معالمه واضحة حتى اليوم، فقد ساهم استقرارهم في تعزيز الهوية العربية الإسلامية للمنطقة ، ولم يقتصر دورهم على نشر اللغة العربية فقط، بل عززوا الثقافة العربية البدوية التي أثرت على العادات والتقاليد كما أدى هذا التأثير إلى بروز اللهجات المحلية التي كانت نتاج تفاعل اللغة العربية مع اللهجات الأمازيغية مما ساهم في خلق هوية مغربية متفردة.

أما على الصعيد الإداري فقد ساهم الهلاليون في تعريب الإدارة والمراسلات الرسمية من خلال دورهم كحلفاء لبعض الأنظمة الحاكمة وأنهم كانوا مسيطرين في بعض الفترات، مما يعني أن دور العرب الهلالية لم يكن مجرد حلقة عابرة في تاريخ المغرب الإسلامي بل كان تحولا محوريا ساهم بشكل فعال في تعريب المغرب الإسلامي، ويبقى هذا الموضوع.

6. **الهوامش:**

[1] بوخالفة عرى، **تغريبه بني هلال بين الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2002-2003، ص73.

[2] **واحة تربة:** منطقة تقع جنوب شرق الطائف، وهي من أرض نجد على مسافة يومين من مكة. انظر: عبد الحميد خالدي، **الوجود الهلالي السليمي بالجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2000، ص9-10.

[3] **مكة:** قرية من حد تبالة، يسكنها بني حقيل وهي قرب بيشة، وبيشة من أرض نجد وهي قرية على شكل واحة وتقع في الطريق الذاهب من اليمن إلى مكة. عبد الحميد خالدي، **المرجع السابق**، ص10.

[4] الحسن مُحَّد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، تر مُحَّد حجي ومُحَّد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص48.

[5] راضي دغفوس، **دراسات في التاريخ الإسلامي العربي الوسيط**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 32.

[6] أبو جعفر مُحَّد بن حبيب، **مختلف القبائل ومؤتلفها**، تحقيق إبراهيم الأبياري، د. ط، دار الكتاب المصري، مصر، د.ت، ص47.

[6] هشام أبو منذر مُحَّد بن السائب الكلبي، **جمهرة الأنساب لابن الكلبي**، تح: محمود فردوس العظم، د.ط، دار اليقظة العربية، دمشق، د.ت، ص89

[7] **نجد:** اسم للأرض العريض التي أعلاها تهامة وأسفلها العراق والشام، ويقال أن نجد كلها من عمل اليمامة. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، دط، دار الصادر، بيروت، 1979، ج5، ص262.

[8] الجبل الذي على ظهره مدينة الطائف. ياقوت الحموي، **مصدر سابق**، ج4، ص 202.

[9] **عمر رضا كحالة، المرجع السابق**،ج3، ص1221. عبد الحكيم الوائلي، **موسوعة** قبائل العرب، ط3، دار أسامة، الأردن، 2009،ج6، ص2528.

[10] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، ط1، مكتبة ديولي، مصر، 1994، مج 3، ص 274. راضي دغفوس، **المرجع السابق**، ص36.

[11] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص16.

[12] Georges labrica la nationalismed'ibmkhaldoin, extraix de la muquadima, unterpédagagipue,Aapré bin, hachette,Alger,1965, p 185

[13] عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 181-182.

[14] جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر ومصر** ، تح: مُحَمَّد شمس الدين، د.ط، بيروت، 1992، ج5، ص 52.

[15] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 211.

[16] شهاب الدين أحمد النويري، **المصدر السابق**، تحقيق عبد المجيد ترحيني، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 2004، ج24، ص116

[17] **اليازوري:** هو مُحَمَّد الحسن اليازوري تولى الوازرة 442هـ/1050م، ولقب بالوزير الأجل المكين، سيد الوزراء، وتاج الأمراء قاضي القضاة ، وداعي دعاة، كان من أهل الزراعة في الشام. ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج24، المصدر السابق، ص 116.

[18] عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، مؤسسة الشباب الجامعي للنشر، 2008،ص581.

[19] ذكر ابن خلدون أنهم لما أجازواالنيل إلى برقة ، ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها وكتبوا لإخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد ، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين ، فأخذ منهم اليازوري أضعاف ما أخذوه ، وتقارعوا على البلاد. ابن خلدون ، **المصدر السابق**، ج6، ص20. النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 47.

[20] إلهام دحروج، **مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية**، مُحَمَّد بركات البيلي، كلية الآداب، مصر، 2000، ص54.

[21]علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: مُحَمَّد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت،1978م، ص 286. .

[22] الهادي روجي إدريس، **المرجع السابق**، ج1، ص 212.

[23] مُحَمَّد سهيل طقوش، **تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام**، ط1، دار النفائس للنشر، بيروت، 2001، ص131.

[24] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص19.

[25] المصدر نفسه، ج6، ص20.

[26] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **اتعاظ الحلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ج2، ص 106،85.

[27] شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، ج1، ص96.

[28] رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه ثقافته**، ش و ن ت ، الجزائر، ط2، 1981، ص193.

[29] فوزية كرزاز ، **السيطرة الإقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي** ، مجلة كان التاريخية ع12، جوان 2012، ص52.

[30] شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، ج1، ص96.الهجرة الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال ق5ه/11م، مجلة القرطاس، ع: 7،جانفي 2018، ص63.

[31] عبد الرحمن بن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص205.

[32] عبد الحميد خالدي، **المرجع السابق**، ص170.

[33] عبد الرحمن الجيلالي، **المرجع السابق**، ص 269..

[34] مصطفى أبو ضيف، **المرجع السابق**، ص244..

[35] المرجع نفسه، ص234.

[36] فوزية كرزاز، **المرجع السابق**، ص54.

[37] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص24.

[38] جلال امباركي، **التأثيرات الحضارية للهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب من خلال كتاب وصف افريقيا**، الملتقى الوطني الهجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية ، جامعة 8 ماي1945، ص4.

[39] مُحَمَّد المغراوي، **مرجع سابق**، ص105.

[40] جلال مباركي، **المرجع السابق**، ص05.

[41] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، مصر، 2024، ص175.

[42] المرجع نفسه، ص177.

[43] حسن علي حسن، **الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه**، جامعة مصر ، صص140-141.

[44] العبدري أبو عبد الله، **رحلة العبدري**، تحقيق ابراهيم الكردي ، تق شاكر الفحام ، دار سعد الدين، د.ب، ص98.

[45] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، د ط، 1956، ص97.

[46] . حسن خضير أحمد، **علاقات الفاطميين بدول المغرب**، مكتبة مدبولي ، مصر، ص216.

[47] الناصري، **المصدر السابق**، ص162.

[48] الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص63.

[49] مصطفى أبو ضيف، **المرجع السابق**، ص208.

[50] عبد الحميد يونس، **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، مطبعة جامعة مصر، 1956، ص97.

[51] حسن خضير أحمد، **المرجع السابق**، ص238.

[52] رحالي مُحَمَّد علي، **المرجع السابق**، ص226.

[53] بغداد علبن سعيد، **التعريب في بلاد المغربودور قبائل بني هلال في التمكين له**، المعرفة، مج7، ع2، 2024،ص196.

[54] رحالي مُحَمَّد علي، **المرجع السابق** ، ص232.

[55] روبار برنشفيك، تاريخ **افريقيا في العهد الحفصي** ، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص32.

[56] ابن خلدون، **المصدر السابق** ، ج6، ص 299.

[57] ابن خلدون، **المصدر السابق** ، ج6، ص221.

[58] مبارك الميلي ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، ص370.

[59] رحالي مُحَمَّد، المرجع السابق، ص140.

[60] المرجع نفسه، ص606..

[61] مصطفى أبو ضيف، **المرجع السابق**، ص43.

[62] المرجع نفسه، ص44.

[63] صباح ابراهيم الشيخلي، **تطور الوجود العربي في صحاري فزّان بين ق1 و6هـ/ 7و12 م**، ص41.

[64] غلاب عبد الكريم، **قراءة في تاريخ المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص183.

[65] هنية صالح الككلي، **الهجرات الهلالية وتأثيرها على بلاد المغرب الأدنى** في ق5هـ/11م، مجلة كلية التربية، ع22، ج2، 2024، ص19.

[66] عبد الحميد يونس، **المرجع السابق**، ص74.

[67] ريحاب مُحَمَّد ابراهيم ، **أثر الزواج السياسي في سياسة سلاطين الدولة الحفصية**، مجلة الدراسات التاريخية المصرية ، ع 12، أفريل 2022، ص40.

[68] صالح أحمد عبد خليفة، **المصاهرات السياسية بالمغرب الإسلامي خلال عصري الموحدين وورثتهم**، جامعة المنيا، مصر ، ص 751.

[69] أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن الشماع ، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** ، تحقيق الطاهر بن مُحَمَّد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس ، 1984، ص88.